



سوتشي، في الاسم، تدرج من مؤتمر الشعوب السورية إلى مؤتمر حميميم، وأخيراً الرسو على تسمية "مؤتمر سوتشي للحوار الوطني". ارتباك وسوء تقدير و صلف في مقاربة كارثة قارب امتدادها سبعة أعوام .
في الدعوة والمدعويين إلى "سوتشي"، رفض من يريد مناقشة رأس المنظومة التي تسببت بالكارثة، والقبول بعضوية ألف وسبعمائة من كل مكونات وأطياف "الشعوب" السورية الحكومية و "المعارضة".
في الهدف من سوتشي "حل سياسي" مبني على تشكيل لجان لمناقشة الدستور، وأخرى لمناقشة الانتخابات؛ وتغيب أي نقاش لعملية أو محور أو "سلة" الانتقال السياسي التي نصت عليها القرارات الدولية .
في الجهة المنظمة، وزارة الدفاع الروسية، لا الرئاسة، ولا وزارة الخارجية الروسية، ربما للاعتقاد أن وزارة الدفاع التي "أنجزت" عسكرياً يمكنها إكمال المشوار الروسي في سورية و"جلب السلام" بأدوات الحرب، كما جلبت "النصر" للرئيس بوتين على "الإرهاب السوري". وبذا يمكن إعطاء بوتين حقنة قوة جديدة في عيون الروس و عيون العالم "مخلصاً لسورية من الإرهاب، وحالاً لمشكلات العالم، ومحققاً للمصالح الروسية في الساحات العالمية".
حتى ولو تم إقرار اسم "مؤتمر الحوار الوطني" لما يُزعم عقده في سوتشي، إلا أن الاسم الأول الذي أطلقه بوتين يعكس موقفه وسياسته ورؤيته لسورية وللسوريين. هم بالنسبة له ليسوا إلا كتلاً بشرية تشبه "شعوب الاتحاد السوفييتي" مستلب الإرادة والمستباح، والذي كان يدور في فلك الإمبراطوية السوفييتية. من هنا، علينا تصوّر أي فعل أو قرار أو إرادة لهؤلاء الذين سيوجدون إحصارياً في سوتشي؛ وهل سيكون بإمكانهم طرح أي مسألة مخالفة لما يريده مالك أمرهم. ومن هنا أتت صراحة لافرنتييف، المبعوث الخاص للسيد بوتين؛ عندما قال "من يريد مناقشة مصير الأسد أو عملية انتقال سياسي في سورية، ليس مرحباً به في سوتشي". المفارقة في هذه المسألة تتمثل بالاستكانة لإرادة الاحتلال والانسحاق أمامها؛ فهناك من يتوسط ويقبل الأيدي ليكون له حضور في مؤتمر سوتشي؛ وهناك من تشكّله مخابرات النظام الأسدي ليكون حاضراً،

وهناك تجار سياسة ودم وأزمات يستقتلون ليكونوا موجودين. والكل يعلم، أو لا يعلم، أن للوجود هناك غاية واحدة، تتمثل بشرعنة الاحتلال والاستبداد، بتفَلتٍ مطلق من أي قرار أو شرعية دولية. والأدهى أكثر ذلك الحديث الروسي عن "الاستفادة من مخرجات سوتشي في خدمة مسار جنيف"، تماماً كما حدث في "أستانة"، ومسرحيات خفض التصعيد الروسية؛ والتي أعطت خلالها روسيا مئات الوعود بالشؤون الإنسانية: المعتقلين، رفع الحصار، إيصال الإغاثة؛ ولم يُنفذَ منها شيء .

حتى تكتمل المسرحية الدموية السوتشية، لا يتردد ممثلو بوتين في بث الأكاذيب من أن الأمم المتحدة تبارك الخطوة الروسية في سوتشي؛ فهذا لافرانتييف، مبعوث بوتين، يطلق تصريحاً في آخر يومي "أستانة 8" إن المبعوث الدولي الخاص إلى سورية، ستيفان دي ميستورا، سيحضر سوتشي؛ وليسارع أحد معاونيه لإبلاغ كاتب هذه السطور بأن المبعوث الدولي لم يعبر عن استعداده للحضور أو غير ذلك، كما روى لافرانتييف .

إضافة إلى كل ما سبق، تبقى إحدى أهم عُقدٍ عُقد مؤتم سوتشي في الذين اعتبرتهم موسكو ضامين في "أستانة"، حيث كان الإعلان الرسمي عن "سوتشي"، مراهنة على أن الضامن التركي سيؤمن لها حضور الفصائل التي ضمنها؛ لكنها لم تلب بالشروط التي يمكن أن تضعها تركيا مقابل تيسير المطلب الروسي؛ وتحديداً "الفيديو" الذي تضعه تركيا على إشراك حزب الاتحاد الوطني (الكردي) في سوتشي. وهنا لم يفد إغراء الشركاء الضامين إعطاؤهم أفضلية تقديم قوائم حضور لمؤتمرها، فبدأت عمليات الابتزاز المتبادل، والذي وجد ترجمته في عرقلة اتفاقية خفض التصعيد في إدلب، والدور الإيراني المشبوه الذي لعبته إيران في نفس الاتفاق؛ ليتبين أن المراهنة الروسية في أستانة تكاد تكون تلغيماً لمؤتم سوتشي ذاته .

رافق القلق والتوتر الروسي تجاه مؤتمرها إرباك عكسته التصريحات الروسية تجاه الموقف الأميركي منه؛ حيث إن روسيا تعرف تماماً أن أي ملمح إيجابي أميركي تجاه سوتشي، ينجح؛ إلا أن موسكو كانت تستشعر السلبية الأميركية تجاه خطوتها؛ فاستبقتها بتحديد "دور مراقب" لأميركا من باب "التكبر على المتكبر"، حيث إنه لا يُتَوَقَّع من أميركا أن تكون مغرمةً بتحقيق روسيا أي نجاح، ولو خلبياً؛ إلا إذا كان يخدم أغراضها؛ وهو ليس كذلك .

أوروبا المتمسكة بالقرارات الدولية بخصوص سورية، والداعمة جهود المبعوث الدولي في جنيف، لن تكون مسرورة، وهي ترى روسيا تدعس على القرارات الدولية؛ وتقفز فوقها أو تلثف عليها .

أخيراً، تبقى عقدة العقد أمام المشروع الروسي موقف ما تسمى المعارضة الرسمية بعد مؤتمر الرياض 2، وبعد وفد واحد في جنيف 8، وبعد أداء مميز في تلك الجولة؛ أداء شاهده العالم، ولم يتمكن المبعوث الدولي إلا أن يشيد به أمام مجلس الأمن والعالم. شكلت هذه المعارضة عقدة لموسكو التي تفننت بمحاولات نفس مصداقيتها، ولا تنفك عن القيام بذلك، عبر وصفها أخيراً بالتعنن والراديكالية، وتحدثت عن ضرورة غلبة بعض الأشخاص منها آملَةً ببعثرتها. ولكن موسكو، بغفلةٍ أو تغافلٍ، تتجاهل المد الشعبي السوري الراض لمشروعها في سوتشي، والذي لا يمكن لهيئة التفاوض أن تقفز عنه؛ فهو وحركتها الدبلوماسية الدولية ما يمدّها بالموقف القوي الذي لا تستطيع موسكو نفسه، حتى ولو عادت إلى عنفٍ غير مسبوق في الغوطة والشمال السوري .

في صيغته الحالية، سوتشي تجمّع "مصالحية" مكبر مهين للسوريين وحقوقهم؛ يحاول القفز على القرارات الدولية؛ تحول دون نجاحه جملةً من التعقيدات، تتقدمها منهجية روسيا العسكرية في مقاربة القضية السورية في إيجاد حل سلمي لسورية، يمكن بوتين من القول إنه أنجز سياسياً، وهذا غير ممكن. مصير الخطوة الروسية إما التأجيل والتفكير بكل ما سبق، وجعله فعلاً مساهماً بحل سياسي، لا يشترط عدم مناقشة مصير الأسد، والانتقال السياسي، وتشكيل لجان فاعلة لإنجاز ذلك، أو الانعقاد كذراع واهية، تدور في فراغٍ بلا قيمة أو تأثير قد تساهم بتعقيد الأمور أمام روسيا أكثر، وتحرمها من فرصة أي جنى سياسي؛ فلا يمكن لروسيا ادعاء نيل الجنى العسكري، وشرف الإنجاز السياسي بالأدوات ذاتها.

